

نشأة البلاغة:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد أشاد القرآن الكريم بذلك في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ و ﴿ مَا صَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ ﴾، لذلك فقد تحداهم القرآن إلى معارضته كله أو جزء منه، وهذا دليل على تمكنهم من الفصاحة والقدرة على المجادلة بالحجة، يروى أن الوليد بن المغيرة استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو بعض آي القرآن، فقال: «والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمُعْدِقٌ».

ظهرت علوم البلاغة التي رفعت راية الدفاع عن إعجاز القرآن من حيث حسن التأليف، وبراعة الأسلوب، وبديع الإيجاز.

إن أهم ما شغل علماء البلاغة هو البحث في سر إعجاز القرآن الكريم، الذي قد يرجع إلى:

- أمور غيبية لا يمكن لبشر إدراكها.
 - الصرفة وهي: صرف الله العرب عن معارضته مع يسرها عليهم تمكيننا لنبيه وتصديقا له.
 - مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والنثر.
 - جودة النظم وقوة التأليف، وسمو بلاغته إلى الحد الذي لم يستطع عنده أحد من البشر أن يحاكيه.
- والرأي الأخير هو أكثر الآراء قبولا عند العلماء.

التأليف في البلاغة:

1. أبو عبيدة المتوفى سنة 206 هـ فوضع كتابه "مجاز القرآن" على إثر سؤال وجه إليه في مجلس الفضل بن الربيع وزير المأمون عن معنى قوله تعالى: ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ وكيف يشبه الطلع برؤوس الشياطين وهي لم تعرف بعد؟ إذ ينبغي أن يكون التشبيه بشيء قد عرف حتى يتبين الشبه ويتضح. فأجاب أبو عبيدة: إنما كلمهم الله على قدر كلامهم، وهو على حد قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي *** ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

يريد أن المشبه به هنا غير معروف كذلك، وأن الغرض من التشبيه في الآية والبيت عرض المشبه وإبرازه في صورة فظيعة مخيفة، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، ثم قام أبو عبيدة¹ من فوره، وتقصى ما ورد في القرآن من الألفاظ التي أريد بها غير معناها الأول في اللغة، وجمعها في هذا الكتاب، وأسماء "مجاز القرآن"، وهو -على ما قيل- أول كتاب دون في علم البيان.

مراحل التأليف في البلاغة:

1. كان القرن الثاني الهجري أول عصر شهد نشأة آراء كثيرة أصيلة ومترجمة حول البلاغة وعناصرها، بعد فساد الملكات، وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب، وفي تدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة. وأهم ما يؤثر من ذلك: وصية بشر بن المعتمر -من زعماء المعتزلة، توفي نحو عام 210هـ- في البلاغة، وتفسير ابن المقفع للبلاغة، وتعريف العتابي لها، ووصية أبي تمام للبحتري تدخل في هذا الباب، ويقول البحتري: «خير الكلام ما قل ودل ولم يمل»، وفي البيان للجاحظ تحديد البلاغة كما يراها حكيم الهند، ويقسمها الكندي فيلسوف العرب (ت 260هـ) إلى ثلاثة أنواع: فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به، ونوع بالعكس، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها، إلى آخر هذه الكلمات والآراء.
2. ثم ألفت بعد ذلك كتب تجمع كثيراً من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها، ومن هذه الكتب:
3. مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 207 هـ)
4. والفصاحة للدينوري (ت 280 هـ)
5. وصناعة الكلام ونظم القرآن للجاحظ (ت 255 هـ).
6. كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ت 170 هـ).

1 أبو عبيدة هو معمر بن المنثى البصري أحد رواة اللغة الأعلام، وتلميذ يونس بن حبيب شيخ سيوييه إمام النحاة، وأستاذ الخليفة العباسي هارون الرشيد.

7. وقد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز¹ (ت 296 هـ) في كتابه القيم "البدیع" وثلعب² (ت 291 هـ) في كتابه "قواعد الشعر"، ثم كتاب الصناعتين³ لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، ثم كتاب الموازنة للآمدي⁴ (ت 370 هـ)، والوساطة⁵ للجرجاني (ت 392 هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني⁶ (ت 403 هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ)، والعمدة لابن رشيق⁷ (ت 463 هـ) وهما أكثر الكتب اتصالاً بالبلاغة.

أ. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ):

ب. أسرار البلاغة، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيهه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البدیع.
ت. دلائل الإعجاز، وفيه بحوث كثيرة في أصول علم المعاني، كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضًا.

8. وبعد الجرجاني بحث الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره، والرازي في كتابه "نهاية الإعجاز"، وابن الأثير صاحب المثل السائر، وبدر الدين بن مالك صاحب المصباح، والتتوخي صاحب "الأقصى القريب"، وكثير من العلماء، في البلاغة والفصاحة.

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـ)، الذي ألف كتابه "المفتاح"، وجعله أقسامًا، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني، البيان، البدیع. وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل.

1 البدیع في البدیع: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ)

2 أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثلعب (المتوفى: 291هـ)

3 الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)

4 الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت 370 هـ)

5 الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ)

6 أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ)

7 العمدة في محاسن الشعر وأدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ)

وجاء الخطيب القزويني (ت 739 هـ) فألف في البلاغة كتابيه: تلخيص المفتاح والإيضاح.

أسس البلاغة:

تعرف البلاغة بأنها مجموعة الأسس والمعايير الجمالية التي يقوم عليها العمل الأدبي وتهدف إلى تقويمه، حتى يصل إلى غايته المرجوة، ويحقق الأسس التالية:

- أ. إيصال الفكرة أو المعنى.
- ب. التأثير والإقناع.
- ت. بث الجماليات في النص الأدبي¹.

علوم البلاغة: تتضمن البلاغة ثلاثة علوم:

أ. **علم البيان:** يدرس الصورة الشعرية أو الفنية²، وأبرز أبوابه:

- التشبيه وأنواعه وأغراضه وقيمه الجمالية.
- الحقيقة والمجاز وأنواعهما.
- الاستعارة وأنواعها.
- الكناية وأقسامها وأنواعها.
- الصورة الشعرية ومكوناتها بين النقد والبلاغة.

ب. **علم المعاني:** يدرس المعنى في الكلام الخبري والإنشائي، وأبرز موضوعاته:

- الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، وأحوال المسند والمسند إليه.
- الخبر والإنشاء وأغراضهما وأقسامهما.
- القصر وطرقه.
- الفصل والوصل ومواضعهما.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.

1 الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الغد الجديد، القاهرة، 2014، ص 06.

2 قال الرماني: «البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ».

ت. علم البديع: يدرس ما يزين به الكلام، وتعرف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية، وأبرز فنونه:

- المحسنات المعنوية: وتشمل الطباق، المقابلة، المبالغة، التورية، الالتفات، اللف والنشر، مراعاة النظر، التجريد، الإحصاء، التضمين، الاقتباس.
- المحسنات اللفظية: وتتضمن الجناس، السجع، رد العجز على الصدر، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، التشريع، الترصيع¹...

1 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، 2003م، ص 50-51